كيف أصبحت (العشوائيات) مدنًا كاملة في عدن؟

أين يكمن تهديد العشوائيات على المدينة ؟

تقرير/ فتاح المحرمي :

قدم الدكتور فضل الربيعي، رئيس قسم علم الاجتماع بكلية التربية عدن - جامعة عدن، محاضرة عن انتشار المناطق العشوائية في العاصمة عدن، أوضح فيها أبرز الأسباب ، والمخاطر ، وبيّن طبيعتها ، واقترح إعادة النظر في السياسة العامة الإسكانية والاجتماعية والحضرية.

ونقدم المحاضرة التي ألقاها الدكتور فضل الربيعي على طلاب علم الاجتماع المستوى الثالث - جامعة عدن ، ضمن مادة علم الاجتماع الحضري.

ويقول الربيعي إن ظاهرة العشوائيات في عدن باتت تشكل مدنًا وأحياءً بذاتها، وأضاف: «يمكن القول أن ظاهرة البناء العشوائي في اليمن ظاهرة قديمة إلا أن تزايد انتشار هذه الظاهرة قد رافق بداية النمو الحضري السريع الذي شهدته المدن اليمنية خلال العقود الأخيرة ، وخاصة مدينة عدن - والكلام للدكتور الربيعي - والذي قال أيضاً : تعد هذه الظاهرة إحدى المشاكل الاجتماعية التي تواجهها التنمية الحضرية بصفة عامة وتقف عائقًا في وجه التنظيم والتخطيط الحضري وتشوّه النسيج الحضري في المدن اليمنية.

ويصف الربيعي انتشار البناء العشوائي في العاصمة عدن : "إذ باتت تشكل أحياء ومدنا قائمة بذاتها وظاهرة عامة في كل أراضي المدينة، وقد تنامت هذه الظاهرة في ظل غياب الدولة على تخطيط الأراضي والمتاجرة بالأرض". وأشار : " وقد اتسعت رقعت هذه الأحياء في المدينة بصورة مخيفة ، إذ باتت تشكل مدنا قائمة بذاتها لكثرتها".

الأسباب

وحصر الدكتور الربيعي أسباب ظاهرة العشوائيات في العاصمة عدن في عدد من النقاط ، وهي كالتالي :

الهجرة المتزايدة من الريف إلى المدن ، وهذه ناتجة عن أسباب عدة منها افتقار الريف إلى الخدمات الأساسية كالتعليم والصحة والكهرباء والمياه وتضاؤل فرص العمل فيه وغياب التوازن في مشاريع التنمية بين المجتمعات الريفية والحضرية.

ارتفاع النمو السكاني في المدن اليمنية.

المضاربة العقارية وارتفاع قيمة الأراضي وإيجارات السكن.

غياب الرقابة على أراضي الدولة في المدن مما سهل من عملية السطو عليها.

عدم كفاية الأجهزة التنفيذية في تخطيط الأراضي والإشراف عليها.

الأزمة السكانية وعدم قيام مشاريع سكانية عامة ميسر لطالبي السكن.

غياب المنشأة الإسكانية الحكومية، ومحدودية صرف وتوزيع الأراضي على المحتاجين .

عدم توصيل الخدمات إلى بعض المخططات السكنية البعيدة عن مناطق الخدمات .

تدني المستوى الاقتصادي العام وظهور شريحة فقيرة في المجتمع غير قادرة على بناء المساكن أو الاستئجار.

الفوارق الاجتماعية في المجتمع وظهور طبقة المهمشين التي حصرت نفسها في الأراضي العشوائية في عدد من المدن في مدينة عدن.

نتائج سلبية

وتحدث الربيعي في محاضرته عن النتائج السلبية لظاهرة البناء العشوائي على العاصمة عدن ، وقال : "أدت هذه الظاهرة إلى تشويه النسيج العمراني والحضاري للمدنية وإعاقة المخططات العامة والاختناقات المرورية وإعاقة توصيل الخدمات، وفي مواقع كثيرة لوحظ إن البناء العشوائي قد طال المواقع التاريخية والأثرية والمساحات الخضراء والجبال والسواحل البحرية والطرقات ومواقع الخدمات، وقد انعكس ذلك سلباً على مظهر المدن وانتشار الأوساخ والأوبئة وإعاقة تنفيذ المشاريع الخدمية في بعض المدن والأحياء السكنية، ولم يقتصر هذا الأثر على الجوانب الحضرية والبيئة والخدمية فحسب بل طال ذلك التعدي الصارخ على الأراضي الزراعية ، وتزايد ظاهرة التسول والجريمة بين سكان هذه المناطق فضلاً عن المشكلات الأمنية والإدارية والاجتماعية الناتجة عن انتشار هذه الظاهرة".

مخاطر

تضاعف النتائج السلبية - التي أشرنا إليها في الفقرة السابقة - للبناء العشوائي في مدينة عدن ، تعد من أبرز المخاطر المستقبلية على الجوانب الحضرية والبيئة والخدمية للمدينة، لا سيما إذا لم تبذل أي جهود للحد من هذه الظاهرة.

ويشير الدكتور الربيعي إلى أن ظاهرة البناء العشوائي: "قد اتخذت أبعادًا شتى تتجلى في اكتساح الأراضي غير المخططة والتي انتشر فيها البناء العشوائي بسرعة غير متوقعة، والسطو على أراضي الدولة ومنح التراخيص أحيانا والمخالفة للتخطيط الحضري العام.

دعوة للمعالجة

وضمن محاضرته قدم الربيعي دعوة لإعادة النظر في سياسة الاسكان، ووضع دراسات لمعالجة هذه الظاهرة والحد منها.

وقال الربيعي:"أمام تزايد هذه الظاهرة والناجمة عن جملة من الأسباب المختلفة بات من الأهمية بمكان إعادة النظر في السياسيات العامة المتصلة بالنواحي الإسكانية والاجتماعية والحضرية". مبيناً : «وإعادة النظر تأتي من خلال إجراء دراسات معمقة لهذه الظاهرة للحد من توسعها وإعادة تخطيط المناطق والأحياء العشوائية القائمة".

وتابع : «وعليه فإن القضاء على هذه الظاهرة لا بد أن ينطلق من تلك المخاطر لهذه الظاهرة بأبعادها الاجتماعية والاقتصادية والحضرية والبيئية".

مشكلة انتشار المناطق العشوائية

هذا وبدأ الربيعي محاضرته بالتعريف بمعنى المناطق العشوائية، والتي قال إنها : "تُعرف بأنها المناطق التي تعاني من التزاحم السكاني وتكون الغالبية العظمى من مبانيها متخلفة أو مفتقرة إلى المرافق والخدمات الأساسية، وهي تلك المناطق العشوائية التي نشأت في غياب التخطيط العام وخروجها عن القانون والتعدي على أملاك الدولة والمتنفسات العامة".

وأوضح : «وتعد ظاهرة البناء أو السكن العشوائي من الظواهر الاجتماعية التي تعاني منها معظم البلدان المتخلفة والنامية بخاصة، حيث تشكل عائقا كبيرا في تنمية المجتمعات الحضرية والتخطيط الحضري وتنعكس آثارها السلبية على مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية".

وأشار: «وقد لقيت ظاهرة نمو المناطق العشوائية في عدد من البلدان التي تعاني من تلك المشكلة اهتماماً في البحث والدراسة لمعرفة الأسباب المؤدية لها، وقد أكدت العديد من الدراسات أن النمو الحضري يتخذ طابعاً عشوائياً يصاحبه زيادة في أعداد الفقراء الحضريين الذين لا يحصلون على الحد الأدنى من الخدمات الحضرية".

وقال في سياق مقدمته عن الظاهرة : «إن زيادة تدفقات المهاجرين الريفيين إلى المدن أصبح يتجاوز إمكانيات المدن القائمة، حيث عجز ت المدن عن استيعاب الأعداد المتزايدة من المهاجرين الريفيين فيها ؛ فضلا عن النمو الحضري السريع وزيادة السكان وغياب التخطيط الحضري، كل ذلك قد ساعد على انتشار ظاهرة العشوائي في العديد من المدن، وتزداد هذه المشكلة وطأة في المدن اليمنية».